الموضوع: قبس من نور الزهراء (عليها السلام)

المناسبة: ذكرى مولد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

الزمان والمكان: 20/ جمادى الثانية/ 1415هـ ـ ق. 1373/9/3 هـ ش. طهران

الحضور: عدد من ذاكري مناقب أهل البيت والخطباء

إنني أشكر الباري جلّ وعلا بكل وجودي ومن أعماق روحي وضميري أن وفّقني ـ مرة أخرى ـ للقائكم ـ

أنتم بلابل رياض أهل بيت الله ومدّاحوا أهل بيت العصمة والطهارة، للاحتفال بهذا اليوم العظيم ذكرى مولد فاطمة الزهراء(عليها السلام)؛ لتطهير نفوسنا، كما أشكركم أيها الأعزة خصوصاً الإخوة الذين أنشدوا الأبيات وألقوا القصائد ونوّروا المجلس بذكر الزهراء المطهّرة الزاهرة والكوكب الدرّي لآل الرسول (عليهم السلام)حيث جعلتم بتوسلاتكم الرائعة والخالصة هذا اليوم عيداً بما للكلمة من معنى.

عظمة فاطمة الزهراء

إنّ كل ما نقوله حول الزهراء(عليها السلام) قليل، وفي الحقيقة إنّنا لا نعلم ما يجب قوله في الزهراء(عليها السلام) وما يجب التفكير فيه، فالأبعاد الوجودية لهذه الحوراء الإنسية والروح الخالصة وخلاصة النبوة والولاية، واسعة ولا متناهية وغير قابلة للإدراك وهي بصورة بحيث يتحيّر الإنسان فيها.

فكما تعلمون فإن المعاصرة تعتبر من الأمور التي تمنع الإنسان من معرفة الشخصيات بصورة جيدة، فغالباً لم تعرف النجوم الساطعة في عالم البشرية في حياتهم من قبل معاصريهم، إلاّ مَنْ ندر من العظام كالأنبياء والأولياء، وهؤلاء أيضاً عرفوا من قبل أفراد معدودين فقط.

إلاّ أن فاطمة الزهراء(عليها السلام) كانت في عصرها بصورة بحيث لم يمتدحها أبوها وبعلها وبنوها وخواص شيعتهم فحسب، بل إنها كانت تُمتدح حتى من قِبَل أولئك الذين لم تكن لهم علاقات سليمة معها.

انظروا إلى الكتب التي أُلفت حول الزهراء(عليها السلام) أو حول كيفية تعامل النبي مع هذه العظيمة، فقد رويت من قبل الذين أشرنا إليهم كزوجات النبي والآخرين، فهذه الرواية المعروفة عن عائشة أنها قالت: (والله ما رأيت في سَمْتِهِ وهَدْيِهِ أشبه برسول الله

(صلى الله عليه وآله) من فاطمة، وكان إذا دخلت على رسول الله قام إليها) [1] أي أنه(صلى الله عليه وآله) كان يقوم من مكانه ويتحرك نحوها بكل شوق، هذا معنى "قام إليها"، وليس معناه أنه إذا دخلت الزهراء(عليها السلام) قام أمامها النبي (صلى الله عليه وآله)، كلا ، قام وذهب إليها، وفي بعض الروايات المروية عن عائشة أيضاً جاء هكذا (وكان يقبّلها ويجلسها مجلسه) [2].

هذه هي منزلة الزهراء(عليها السلام)، فماذا يقول الإنسان حول إبنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ وماذا يقول حول هذا الموجود العظيم؟

إن عظمة الزهراء(عليها السلام) ــ أيها الأعزاء ــ مشهودة في سيرتها..

وهنا توجد مسألتان:

المسألة الأولى: ما مدى معرفتنا بالزهراء(عليها السلام)؟

حسناً، إن محبّي أهل البيت الله قد سعوا طوال تاريخ الإسلام إلى إحترام آل بيت رسول الله(صلى الله عليه آله) والتعلّق بهم وخصوصاً الزهراء(عليها السلام) بالقدر المستطاع، وليس لأحد أن يتصوّر أنّ هذه العظيمة أصبحت عزيزة على القلوب في عصرنا فقط، نعم في عصرنا ما في القلوب يجري على الألسن؛ لأنّه عهد الإسلام وحكومة القرآن، عهد الحكومة العلوية وحكومة أهل بيت الله، إنها كانت عزيزة دائماً.

فأقدم جامعة إسلامية في العالم الإسلامي والتي يعود تاريخها إلى القرنين الثالث والرابع الهجري هي باسم الزهراء(عليها السلام) ألا وهي جامعة الأزهر في مصر والمشتق اسمها من الزهراء(عليها السلام)، فكان الخلفاء الفاطميون الشيعة الذين كانوا يحكمون مصر آنذاك يسمّون جامعاتهم باسم الزهراء(عليها السلام).

وقد سعى الشيعة على مدى القرون الماضية للتعلّق بهذه العظيمة.

المسألة الأخرى: هي أنّنا يجب علينا الاهتداء بالنجوم:

فالإنسان العاقل يكون هكذا، فعندما يسطع نجم في السماء فهو لا يختص بهذه الكرة الأرضية فقط ــ يقال إن بعض هذه النجوم التي هي كالنقطة في السماء، هي ــ في الحقيقة ــ أكبر من مجرة درب التبّانة التي تشاهدونها والتي تتشكّل من ملايين النجوم، فلا نهاية للقدرة الإلهية، لكننا نشاهده نقطة تسطع في السماء ــ حسناً، فلا بد للإنسان

---

[1] سنن الترمذي الحديث: 4246.

[2] نفس المصدر.

العاقل الذي وهبه الله العين أن يستفيد من هذا النجم في حياته، والقرآن يقول ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾[3] .

أعزّائي! إن نجم عالم الخلق الزاهر ليس بالذي نراه ونتصوّره، بل هو أعظم من هذا بكثير، إننا نرى نور شخصية الزهراء(عليها السلام)، لكنّها أعظم من هذا بكثير.

إذاً ماذا نستفيد نحن منها؟ بهذا القدر الذي نعرف فيه أنّها الزهراء(عليها السلام) .

لقد قرأت هنا في إحدى المرات الرواية التي تقول: (أنها تظهر لأهل السماء) [4]، فنحن لا شيء أمام هذا النور، فالكروبيون [الملائكة المقربون] في الملأ الأعلى تتبهر عيونهم من نور الزهراء (عليها السلام).

فيجب علينا الإهتداء بها إلى الله وإلى طريق العبودية، وإلى الصراط المستقيم. فالزهراء(عليها السلام) قد سلكت هذا الطريق فأصبحت الزهراء، وإن رأيتم أن الله قد جعل طينتها طينة متعالية؛ لأنه كان يعلم أنها تخرج مرفوعة الرأس من الامتحان في عالم المادة والناسوت [الطبيعة الإنسانية] (امتحنك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة) [5] ، فالباري سبحانه وتعالى قد أَلطَف على تلك الطينة وجعلها متعالية؛ لأنه كان يعلم أنها تخرج مرفوعة الرأس من الامتحان، وإلا فالطينة الطيبة كانت كثيرة، لكن هل تمكّن الجميع من الصبر على الامتحان.

هذا جانب من حياة الزهراء(عليها السلام) التي نحتاج إليها لتطهير أنفسنا، فالحديث ورد من طريق الشيعة (أنّ النبي (صلى الله عليه آله) قال لفاطمة(عليها السلام): يا فاطمة، إنّني لا أُغني عنك من الله شيئا) [6] أي يجب عليك أن تفكّري بنفسك، فكانت تفكّر في نفسها من صغرها إلى نهاية عمرها القصير.

فانظروا إلى حياتها كيف كانت؟ كانت إلى قبل الزواج حينما كانت فتاة، تعامل أباها ــ نبي الرحمة والنور ومؤسس الحضارة الحديثة، والقائد العظيم للثورة العالمية الخالدة، وحيث كان النبي (صلى الله عليه آله) آنذاك يرفع راية تلك الثورة ــ بصورة بحيث أصبحت (أمُّ أبيها) ولم يقال اعتباطاً (أمُّ أبيها)، فكانت الزهراء (عليها السلام) ــ سواء في مكة أو في شعب أبي طالب أو عندما توفّت خديجة وبقي النبي وحيداً مكسور القلب

([3]) سورة النحل: 16.

([4]) أمالي الشيخ الصدوق – مجلس 24 – ص 99.

([5]) رسائل الشيعة، الحر العاملي: ج14، ص368.

([6]) أحاديث أم المؤمنين عائشة، السيد مرتضى العسكري: ج2، ص294.

بوقوع حادثتين في فترة قصيرة وفاة خديجة ووفاة أبي طالب، فأحسّ النبي بالغربة ــ تزيل بيديها الصغيرتين غبار الحزن والغمّ عن وجه رسول الله (صلى الله عليه آله).

فانظروا كم هو عظيم بحر هذه الشخصية وجهادها، ثم في العهد الإسلامي ومن بعده الزواج من علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كان مصداقاً كاملاً للتعبوي المضحّي في سبيل الثورة.

علي (عليه السلام) مثال لرجال التعبئة

إنّه أسبوع التعبئة، وهذا هو معنى التعبوي، أي أنه وقف حياته كلها للإسلام ولنبيّه مرضاةً لله، ولم يعمل لنفسه أبداً.

ففي العشر السنوات من حياة النبي كان كل عمل أمير المؤمنين (عليه السلام) لأجل رفعة الإسلام، وان يقال إنّ أمير المؤمنين والزهراء وبنيهم(عليهم السلام) ظلّوا جياعاً فكان هذا سببه، والاّ لو كان يفكّر كبقية الشباب في التجارة لكان أفضل التجّار جميعاً.

هذا هو علي بن أبي طالب الذي كان في أواخر عمره يحفر البئر ولا يخرج منه حتى يتدفّق الماء ولا يغسل يديه ووجه حتى يوقفه لبيت المال، فقد أحيى الكثير من البساتين، فلماذا يبقى أمير المؤمنين(عليه السلام) جائعاً، فقد ورد في الرواية أن الزهراء(عليها السلام) جاءت إلى النبي (صلى الله عليه آله) وقد بان على وجهها آثار الجوع، فرقّ قلب النبي لها فدعا لها.

لقد كانت كل مساعي أمير المؤمنين(عليه السلام) خالصة لله وللإسلام، فهو أمثولة رجال التعبئة، وإنني أهيب بمقاتلي التعبئة في بلادنا العلوية الفاطمية أن يجعلوا أمير المؤمنين(عليه السلام) قدوة لهم، فإنّه(عليه السلام) أفضل وأعظم قدوة للتعبويين المسلمين في كل أرجاء العالم، ثم أن فاطمة الزهراء(عليها السلام) وهي إبنة قائد الإسلام العظيم والحاكم المقتدر في زمانه رغم كل الذين تقدّموا لها ومن بينهم المتموّلين والشخصيات، إلاّ أنها انتخبت ــ أي أن الله انتخبه وهي كانت راضية بالانتخاب الإلهي وفرحة بذلك ــ هذا الشاب الذي وهب حياته مرضاةً لله وقضى عمره في الجهاد، ثم تعيش معه بتلك الصورة حيث كان أمير المؤمنين (عليه السلام) راضٍ بكل وجوده عنها، وعبارات أمير المؤمنين (عليه السلام) لها ــ والتي لا أريد ذكرها في يوم العيد هذا ــ في أواخر حياتها خير دليل على ذلك.

فصبرت وربّت بَنيها، ودافعت عن حق الولاية دفاع المستميت وتحمّلت في ذلك كل ذلك العذاب وتلك المصائب ثم استقبلت تلك الشهادة العظيمة بكل رحابة صدر.

فهذه هي فاطمة الزهراء(عليها السلام).

أعزائي ! إنكم بلابل الروضة الفاطمية ومدّاحو أهل البيت (عليهم السلام) وذاكروا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾، فركّزوا ما استطعتم على هذه النكات ــ خصوصاً مع وجود بعض المدّاحين الجيّدين بينكم، والذين انشدوا اليوم هذه الأبيات الممتازة والعالية في مضامينها والخالية من النقص بصورة ممتازة جداً ــ في أشعاركم، واملؤها من هذه المضامين التربوية والهادية والمنجية، فلا يكفي أن يقال أن هذا النجم ساطع مع أنه لا يمكن القياس ــ وكما قلنا ــ بين ما نراه من سطوع وما هو موجود في الواقع، بل يجب الإهتداء بهذا النجم وبنوره.

إن الإنسان ليشعر ــ في السنوات الخمسة عشر الأخيرة ــ بفورة محبة الزهراء (عليها السلام) في قلوب أبناء هذه الأمة المؤمنة الثورية المخلصة، فكان اسمها يتردد في الجبهات خلال الحرب، وفي فترة الصلح والإعمار أيضاً وكذا في الاستعداد لمواجهة الأعداء.

هذه الحالة موجودة ولله الحمد إن هذا التوسّل جيد وذو قيمة، وأن الزهراء(عليها السلام) لتحب هذه الروح الجهادية، بأية صورة ممكنة وهذه بشرى للشباب التعبويين في هذا البلد، فكما أنهم يحبّون الزهراء (عليها السلام) كذلك يتحركون طبقاً لإرادتها وميولها ويسلكون طريقها التي هي سبيل الله وسبيل العبودية ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[7] .

اللّهم لا تحرمنا حبّ الزهراء (عليها السلام) وولايتها في الدنيا والآخرة بحق محمد وآل محمد واهدنا بنور الزهراء المطهّرة، اللهم زد حبّها في قلوبنا يوماً بعد يوم، وأمتنا على حب آل النبي (صلى الله عليه آله) ، واحشرنا يوم القيامة على حب آل النبي.

اللهم بحق محمد وآل محمد أزل عنّا المشاكل بالتمسك بالإسلام وبالأحكام الإسلامية والإلهية وابعث اللطف والرحمة والصفاء والنور على روح إمامنا العظيم وشهداء الإسلام العظام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

([7]) سورة يس، الآية: 61.